حتى دخل ابو عبد الله الرباطي المغربي استاد ذلك البلد فعلم انى محبوس تشفع فيَّ فاخرجت اليه فلما وقع بصره علىّ فقال اى شيء
فعلت فقلت شبعة عدس وماتى خشبة فقال قد نجوت مجانا وقال ابراهيم الخواص كنت في جبل فرأيت رمانا فاشتهيته
فدنوت فاخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا قد اجتمعت
عليه الزنابير فسلمت عليه فرد علىّ باسمي فقلت كيف عرفتني قال من عرف الله لم يخف عليه شيء فقلت له ارى لك حالا
مع الله فلو سألته ان يحميك ويقيك من هذه الزنابير فقال وارى لك حالا مع الله فلو سألته ان يقيك من شهوة
الرمان فان لدغ الرمان يجد الانسان المه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد الانسان المه في الدنيا فتركته ومضيت
على وجهي وقال يوسف بن اسباط لا يمحو الشهوات من القلب الا خوف مزعج او شوق مقلق وقال الخواص من ترك
شهوة فلم يجد عوضها في قلبه فهو كاذب في تركها وقال ابو علي الرباطي صحبت عبد الله المروزي وكان يدخل البادية
قبل ان اصحبه بلا زاد فلما صحبته قال لي ايما احب اليك تكون انت الامير ام انا فقلت بل انت فقال وعليك الطاعة
قلت نعم فاخذ مخلاة ووضع فيها زادا وحملها على ظهره فكنت اذا قلت له اعطني احملها قال الامير انا وعليك الطاعة
قال فاخذنا المطر ليلة فوقف الى الصباح على رأسي وعليه كساء يمنع مني المطر فكنت اقول في نفسي يا ليتني مت
ولم اقل انت الامير ثم قال لي اذا صحبت انسانا فاصحبه كما رأيتني صحبتك ابو الطيب المتنبي ٭ ذريني انل ما لا دعني
ينال من العلى ٭ فصعب العلى في الصعب والسهل في السهل ٭ تريدين ادراك المعالي رخيصة ٭ ولا بد دون الشهد من ابر
النحل ولد ٭ واذا كانت النفوس كبارا ٭ تعبت في مرادها الاجسام ٭ ومن امثال العامة من لم يغل دماغه في الصيف
لم تغل قدره في الشتاء من لم يركب الاخطار لم ينل الاوطار ادراك السؤل وبلوغ المأمول بالصبر على الجوع وفقد الهجوع
وسيلان الدموع واعلم ان تقليل المأكول لا ريب في انه نافع للنفس والاخلاق والتجربة قد دلت عليه لانا نرى
المكثر من الاكل يغلب عليه النوم والكسل وبلادة الحواس وتبخر المأكولات الابخرة كثيرة فيتصاعد الى الدماغ فتفسد
القوى النفسانية وايضا فان كثرة المآكل تزيل الرقة وتورث القساوة والسبعية والقياس ايضا يقتضي ذلك
لان كثرة المزاولة سبب لحصول الملكات فالنفس اذا توفرت على تدبير الغذاء وتصريفه كان ذلك شغلا شاغلا لها
وعائقا عظيما عن انصبابها الى الجهة الروحانية العالية ولكن ينبغي ان يكون بتقليل الغذاء الى حد يوجب جوعا قليلا وذلك
فان الجوع المفرط يورث ضعف الاعضاء الرئيسة واضطرابها واختلال قواها وذلك يقتضي تشويش النفس واضطراب
الفكر واختلال العقل ولذلك تعرض الاخلاط السوداوية لمن افرط عليه الجوع فاذن لا بد من اصلاح امر الغذاء بان
يكون قليل الكمية كثير الكيفية فتؤثر قلة كميته في انه لا يشغل النفس بتدبير الهضم عن التوجه الى الجهة العالية الروحانية
وتؤثر كثرة كيفيته في تدارك الخلل الحاصل من قلة الكمية ويجب ان يكون الغذاء شديد الامداد للاعضاء الرئيسة
لانها هي المهمة من اعضاء البدن وما دامت باقية على كمال حالها لا يظهر كثير خلل من ضعف غيرها من الاعضاء
واعلم ان الرياضة والجوع هو امر يحتاج اليه المريد الذي هو بعد في طريق السلوك الى الله وينقسم طالبو هذا الامر
الجليل الشاق الى اقسام اربعة احدها الذين مارسوا العلوم الالهية واجهدوا انفسهم في طلبها والوصول الى
كنهها بالنظر الدقيق في الزمان الطويل فهؤلاء يحصل لهم شوق شديد وميل عظيم الى الجهة العالية الشريفة فيحملهم
حب الكمال على الرياضة وثانيها الانفس التي هي باصل الفطرة والجوهر مائلة الى الروحانية من غير ممارسة علم ولا دراية
بنظر وبحث وقد رأينا مثلهم كثيرا وشاهدنا قوما من العامة متى سنح لهم سانح مشوق مثل صوت مطرب او انشاد
بيت شعر يقع في النفس او سماع كلمة توافق امرا في بواطنهم فانه يستولي عليهم الوجد ويشتد الحنين ويغشاهم غواش
لطيفة روحانية يغيبون بها عن المحسوسات والجسمانيات وثالثها نفوس حصل لهم الامران معا الاستعداد الاصلي والاشتغال
بالعلوم النظرية الالهية ورابعها النفوس التي لا استعداد لها في الاصل ولا ارتياض بالعلوم الالهية وكان قوم سمعوا
كمال هذه الطريقة وان السعادة الانسانية ليست الا بالوصول اليها فمالت نحوها وحصل لها اعتقاد فيها فهذه هي اقسام
المريدين والرياضة التي تليق بكل واحد من هذه الاقسام غير الرياضة اللائقة بالقسم الآخر ويحتاج قبل الخوض في ذلك

الى تقديم

الى تقديم امرين احدهما ان النفحات الالهية دائمة مستمرة وانه كل من توصل اليها وصل قال الله سبحانه وتعالى والذين جاهدوا
فينا لنهدينهم سبلنا وقال النبي صلى الله عليه وآله ان لربكم في ايام عصركم نفحات الا فتعرضوا لنفحاته وثانيهما ان
النفوس البشرية في الاكثر مختلفة بالنوع فقد يكون بعض النفوس مستعدا غاية الاستعداد لهذا المطلب وربما لم يكن
البتة مستعدا لها وبين هذين الطرفين اوساط مختلفة بالضعف والقوة واذا تقرر ذلك فاعلم ان القسمين الاولين
لما اختلفا فيما ذكرناه لا جرم اختلفا في الكسب والمكتسب اما الكسب فان صاحب العلم الاولى به في الاكثر العزلة والانقطاع
عن الخلوة لانه قد حصلت له الهداية والرشاد فلا حاجة الى المخالطة احد يستعين به على حصول ما هو حاصل واما صاحب
الفطرة الاصلية من غير علم فانه لا يليق به العزلة لانه يحتاج الى المعلم والمرشد فانه ليس يكفي الفطرة الاصلية في الوصول الى
المعالم الالهية والحقائق الربانية ولا بد من موقف ومرشد في مبدأ الحال هذا هو القول في الكسب بالنظر اليهما واما المكتسب فان
صاحب العلم اذا اشتغل بالرياضة كانت مشاهداته ومكاشفاته اكثر كمية واقل كيفية مما لصاحب الفطرة المجردة اما كثرة
الكمية فلان قوته النظرية تعينه على ذلك واما قلة الكيفية فلان القوة النفسانية تتوزع على تلك الكثرة وكلما كانت
الكثرة اكثر كانت توزع القوة الى اقسام اكثر وكان كل واحد منها اضعف مما لو كانت الاقسام اقل عددا واذا عرفت ذلك عرفت
ان الامر في جانب صاحب الفطرة الاصلية بالعكس من ذلك وهو ان مشاهداته ومكاشفاته تكون اقل كمية واكثر كيفية
واما الاستعداد الثالث وهو النفس التي قد جمعت الفطرة الاصلية والعلوم الالهية النظرية بالنظر فهي النفس الشريفة
الجليلة الكاملة وهذه الاقسام الثلاثة مشتركة في ان رياضتها القلبية يجب ان تكون زائدة في الكم والكيف على رياضتها
البدنية لان الغرض الاصلي هو رياضة القلب وطهارة النفس وانما شرعت الرياضات البدنية والعبادات الجسمانية
لتكون طريقا الى تلك الرياضة الباطنة فاذا حصلت كان الاشتغال بالرياضة البدنية عبثا لان الوسيلة بعد حصول المتوسل
اليه فضلة مستغنى عنها بل ربما كانت عائقة عن المقصود نعم لا بد من المحافظة على الفرائض خاصة لئلا تعتاد النفس
الكسل وربما افضى ذلك الى الخلل في الرياضة النفسانية ولهذا حكي عن كبراء القوم قلة الاشتغال بنوافل العبادات واما
القسم الرابع وهو النفس التي خلت عن الوصفين معا فهذه النفس لا يجب ان تكون رياضتها في مبدأ الحال الا بتهذيب الاخلاق
بما هو مذكور في كتب الحكمة الخلقية فاذا لانت ومرنت واستعدت للنفحات الالهية حصل لها ذوق ما فاوجب ذلك الذوق
شوقا فاقبلت بكليتها على مطلوبها واعلم ان السبب الطبيعي في كون الجوع مؤثرا في صفاء النفس ان البلغم الغالب على
مزاج البدن يوجب بطبعه البلادة وابطاء الفهم لكثرة الارضية فيه وثقل جوهره وكثرة ما يتولد عنه من البخارات التي
تسد المجاري وتمنع نفوذ الارواح ولا ريب ان الجوع يقتضي تقليل البلغم لان القوة الهاضمة اذا لم تجد غذاء تهضمه
عملت في الرطوبة الغريبة الكائنة في الجسد فكلما انقطع الغذاء استمر عملها في البلغم الموجود في البدن فلا تزال تعمل فيه
وتذيبه الحرارة الكائنة في البدن حتى يفنى كل ما في البدن من الرطوبات الغريبة ولا يبقى الا الرطوبات الاصلية فان
استمر انقطاع الغذاء اخذت الحرارة والقوة الهاضمة في تنقيص الرطوبات الاصلية من جوهر البدن فان كان ذلك
يسيرا او الى حد ليس بمفرط لم يضر ذلك بالبدن كل الاضرار وكان ذلك هو غاية الرياضة التي اشار امير المؤمنين ع اليها
بقوله حتى دق جليله ولطف غليظه وان افرط ووقع الحيف والاجحاف على الرطوبة الاصلية عطب البدن ووقع صاحبه
في الدق والذبول وذلك منهي عنه لانه قتل النفس فهو كمن يقتل نفسه بالسيف او بالسكين واعلم ان قوله ع وبرق له لامع
كثير البرق هو حقيقة مذهب الحكماء وحقيقة قول الصوفية اصحاب الطريقة والحقيقة وقد صرح به الرئيس ابو علي بن سينا
في كتاب الاشارات في ذكر السالك الى مرتبة العرفان ثم انه اذا بلغت به الارادة والرياضة حدا ما عنت له خلسات
من اطلاع نور الحق عليه لذيذة كانها بروق تومض اليه ثم تخمد عنه وهي التي تسمى عندهم اوقاتا وكل وقت يكتنفه وجدان اليه
ووجد عليه ثم انه لتكثر عليه هذه الغواشي اذا امعن في الارتياض فكلما لمح شيئا عاج منه الى جانب القدس فتذكر من امره
امرا فغشيه غاش فيكاد يرى الحق في كل شيء ولعله الى هذا الحد تستولي عليه غواشيه ويزول هو عن سكينته وينتبه جليسه
لاستنفاره عن قراره فاذا طالت عليه الرياضة لم تستفزه غاشية وهدي للتأنس بما هو فيه ثم انه لتبلغ به الرياضة مبلغا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)